

الدِّئِنَّةَ، فابتاعه صفوانُ بنُ أمية، فقتله بأبيه .

وأما موسى بن عقبة، فذكر سبب هذه الواقعة، أن رسولَ الله ﷺ بعث هؤلاء الرهطَ يتحسَّسونَ له أخبارَ قريش، فاعترضهم بنو لحيان^(١).

فصل

بنرمعونة

وفي هذا الشهر بعينه، وهو صفر من السنة الرابعة، كانت وقعة بئر معونة، وملخصها أن أبا براء عامرَ بنَ مالك المدعو ملاعبَ الأسيَّة، قدِمَ على رسولِ الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فلم يُسلم، ولم يبعد، فقال: يا رسولَ الله، لو بعثت أصحابك إلى أهلِ نَجْدٍ يدعونهم إلى دينك، لرجوتُ أن يُجيئوهم. فقال: «إني أخافُ عليهمَ أهلَ نَجْدٍ» فقال أبو براء: أنا جارُّ لهم، فبعث معه أربعين رجلاً في قول ابن إسحاق. وفي الصحيح: «أنهم كانوا سبعين» والذي في الصحيح: هو الصحيح. وأمر عليهم المنذر بن عمرو - أحد بني ساعدة الملقب بالمُعَنِقِ ليموت - وكانوا من خيارِ المسلمين، وفضلائهم، وساداتهم، وقرائهم، فساروا حتى نزلوا بئرَ معونة، وهي بين أرضِ بني عامر، وحرّة بني سليم، فنزلوا هناك، ثم بعثوا حرامَ بنَ ملحانَ أحماً سليم بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامرِ بنِ الطفيل، فلم ينظرُ فيه، وأمر رجلاً، فطعنه بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه، ورأى الدَّم، قال: «فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ»^(٢). ثم استنفرَ عدوُّ الله لفقوره بني عامر إلى قتالِ الباقيين، فلم يُجيئوه لأجلِ جوارِ أبي براء،

(١) انظر خبر الرجيع في «صحيح البخاري» ٢٩٠/٧، ٢٩٥ في المغازي: باب غزوة الرجيع، و«مسند أحمد» (٧٩١٥) ٣١٠/٢، وابن هشام ١٦٩/٢، ١٨٣، وابن سعد ٥٦، ٥٥/٢ والطبري ٢٩/٣، وابن سيد الناس ٤٠/٢، وابن كثير ١٢٣/٣، ١٣٤، و«شرح المواهب» ٦٤/٢، ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٧/٧، ٢٩٩ في المغازي: باب غزوة الرجيع، وفي الجهاد: باب من ينكب في سبيل الله، وباب فضل قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾، وباب العودة والمدد، ومسلم (٦٧٧) ص ١٥١١ في الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد، وأحمد ١٣٧/٣، ٢١٠ و ٢٧٠ و ٢٨٩.

فاستنفر بني سليم، فأجابته عَصِيَّةُ وَرِغْلُ وَذَكْوَانُ، فجاؤوا حتى أحاطوا بأصحابِ رسول الله ﷺ، فقاتلوا حتى قُتِلُوا عن آخرهم إلا كعبَ بنَ زيدِ بنِ النجار، فإنه ارتث^(١) بين القتلى، فعاش حتى قُتِلَ يومَ الخندق، وكان عمرو بن أمية الضمري، والمنذرُ بن عقبة بن عامر في سَرَحِ المسلمين، فرأيا الطيرَ تحومُ على موضعِ الواقعة، فنزل المنذر بن محمد، فقاتلَ المشركين حتى قُتِلَ مع أصحابه، وأسيرَ عمرو بن أمية الضمري، فلما أُخبر أنه من مضر، جَزَّ عامِرٌ ناصيته، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه، ورجع عمرو بن أمية، فلما كان بالقرقرة من صدرِ قناة^(٢) نزل في ظلِّ شجرة، وجاء رجلان من بني كلاب، فنزلا معه، فلما ناما، فتكَّ بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أصاب ثأراً من أصحابه، وإذا معهما عهدٌ من رسولِ الله ﷺ لم يشعرُ به، فلما قَدِمَ، أخبرَ رسولَ الله ﷺ بما فعل، فقال: «لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا»^(٣).

غزوة بني النضير

فكان هذا سببَ غزوة بني النضير، فإنه خرج إليهم ليعينوه في ديتهما لما بينه وبينهم من الحلف، فقالوا: نعم، وجلس هو وأبو بكر وعمر وعلي، وطائفة من أصحابه، فاجتمع اليهود وتشاوروا، وقالوا: مَنْ رجلٌ يُلقِي على محمدٍ هذه الرَّحَى فيقتله؟ فانبعث أشقاها عمرو بن جحاش لعنه الله، ونزل جبريلُ من عند رب العالمين على رسوله يُعلمه بما همُّوا به، فنهض رسولُ الله ﷺ من وقته راجعاً إلى المدينة، ثم تجهَّز، وخرج بنفسه لِحربهم، فحاصروهم ستَّ ليالٍ، واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم، وذلك في ربيعِ الأول.

قال ابن حزم: وحينئذ حُرِّمَتِ الخمرُ، ونزلوا على أن لهم ما حملت إبلهم

[تحريم الخمر]

(١) أي: رفع وبه جراح.

(٢) هي قرقرة الكدر: موضع بناحية المعدن قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد، وقناة: واد يأتي من الطائف، ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر.

(٣) انظر ابن هشام ١٨٣/٢، ١٨٧، وابن كثير ١٣٩/٣، ١٤٤، والطبري ٣٣/٣، وابن سيد الناس ٤٦/٢، وشرح المواهب ٧٤/٢، ٧٩.

غير السلاح، ويرحلون من ديارهم، فترحل أكابرهم كحبي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط، يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما، وقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين خاصة، لأنها كانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، إلا أنه أعطى أبا دجاجة، وسهل بن حنيف الأنصاريين لقرهما^(١).

وفي هذه الغزوة، نزلت سورة الحشر، هذا الذي ذكرناه، هو الصحيح عند أهل المغازي والسير^(٢).

وزعم محمد بن شهاب الزهري، أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كان بعد بدر بستة أشهر: هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية، وكان له مع اليهود أربع غزوات، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد، والثالثة: قريظة بعد الخندق، والرابعة: خيبر بعد الحديبية.

فصل

وقنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على الَّذِينَ قَتَلُوا الْقُرَّاءَ أَصْحَابَ بَيْتِ مَعُونَةَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، ثُمَّ تَرَكَهُ لَمَّا جَاؤُوا تَائِبِينَ مُسْلِمِينَ^(٣).

(١) انظر ابن هشام ٢/١٩٠، ١٩٥، وابن كثير ٣/١٤٥، ١٥٤، وشرح المواهب ٧٩/٢، ٨٦، وابن سيد الناس ٢/٤٨، وابن سعد ٢/٥٧.

(٢) أخرج البخاري ٨/٤٨٣ عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل: ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال نزلت في بني النضير.

(٣) أخرجه البخاري ٢/٤٠٧، ٤٠٨ و١١/١٦٣، و٧/٢٩٦، ٢٩٧، ومسلم (٦٧٧)، (٣٠٤) من حديث أنس بن مالك.

فصل

ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، وَهِيَ غَزْوَةٌ نَجْدٍ، فَخَرَجَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، وَقِيلَ: فِي الْمَحْرَمِ، يُرِيدُ مُحَارِبَ، وَبَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ غَطَفَانَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا ذَرَّ الْغِفَارِيَّ، وَقِيلَ: عَثْمَانَ بْنَ عَفَانَ، وَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَقِيلَ: سَبْعِمِائَةٍ، فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَتَوَاقَفُوا، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلَّا أَنَّهُ صَلَّى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ صَلَاةَ الْخَوْفِ^(١)، هَكَذَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي فِي تَارِيخِ هَذِهِ الْغَزَاةِ، وَصَلَاةَ الْخَوْفِ بِهَا، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ عَنْهُمْ، وَهُوَ مُشْكِلٌ جَدًّا، فَإِنَّهُ قَدْ صَحَّ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ حَبَسُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ^(٢).

غزوة ذات الرقاع

متى شرعت صلاة
الخوف

وفي «السُّنَنِ» و«مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، أَنَّهُمْ حَبَسُوهُ عَنْ

(١) «سيرة ابن هشام» ٢/٢٠٣، ٢٠٩، وابن كثير ٣/١٦٠، ١٦٨، وشرح المواهب ٢/٨٦، ٩٣، وابن سعد ٢/٦١، ٦٢، وابن سيد الناس ٢/٥٢، والبخاري ٧/٣٢١، ٣٣١ وإنما سميت هذه الغزوة «ذات الرقاع»، لأن أقدامهم رضي الله عنهم نَقِبَتْ (رقت جلودها وتنفطت من المشي) وكانوا يلفون عليها الخرق، فقد روى البخاري ٧/٣٢٥ عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، ونحن في ستة نفر بيننا بعير نعتقه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدامي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة «ذات الرقاع» لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. وهي غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة، وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٢) أخرجه البخاري ٧/٣١٢ في المغازي: باب غزوة الخندق، وفي الجهاد: باب الدعاء على المشركين، ومسلم (٦٢٧) في المساجد: باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، وأبو داود (٤٠٩)، والنسائي (٢٣٦/١)، وابن ماجه (٦٨٤)، وأحمد ١/٧٩ و٨١ و١١٣ و١٢٢ و١٢٦ و١٣٥ و١٣٧ و١٤٦ و١٥٠ و١٥٢ من حديث علي رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٦٢٨)، وابن ماجه (٦٨٦) وأحمد ١/٤٠٤ و٤٥٦ من حديث ابن مسعود.